مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2022 E-ISSN:2588-2325

الخطاب السوسيولوجي في الجزائر: بين تاريخ الكلونيالية ومستقبل الأكاديمية

Sociological discourse in Algeria: between the history of colonialism and the future of the academy

أمينة أقنيني*، جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، a.aguenini@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/09/09 تاريخ القبول: 2022/10/01 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

إن الخطاب السوسيولوجي في الجزائر عرف مراحل مهمة خلال مسيرته تأرجحت ما بين القوة والازدهار والضعف والتقهقر، ولعّل من جملة العوامل الأساسية التي ساهمت في تراجع مكانته هو العامل السياسي، فبعدما حظي علم الاجتماع باهتمام كبير من طرف السلطة غداة الاستقلال وعرف مساره تطورا واضحا، تراجع وأصبح مهمشا بمجرد تخلي السلطة عنه لحساب العلوم التطبيقية والتقنية، أما العامل الثاني فتمثل في حصر الفعل السوسيولوجي في العمل البيداغوجي داخل أسوار الجامعة فقط وهذا أيضا ما انعكس سلبا على مكانة علم الاجتماع العلمية مع أنه علم ممارسة لا تنظير، هذا إلى جانب التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع الجزائري والتي ساهمت في تقهقره رغم أنها كانت عوامل ذات أهمية بالنسبة للطروحات السوسيولوجية، فكيف لعلم ساعد الاستعمار على احتلال هذه الأرض لردح من الزمن وتم استغلاله أحسن استغلال للتوغل في ثنايا هذا المجتمع، تحول إلى علم نظري لا يتجاوز أسوار الجامعة ويعيش قطيعة مع المجتمع وهو علم مجتمعي بامتياز.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، السوسيولوجيا، الكلونيالية، نظام L M D، علم الاجتماع.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The sociological discourse in Algeria knew important stages during its career that oscillated between strength and prosperity, and perhaps among the factors that led to its weakness and the decline of its function is the political factor. Applied and technical, and limiting the sociological act to pedagogical work only within the walls of the university contributed to the decline of its position, in addition to the political, social and cultural transformations witnessed by the Algerian society, which contributed to its decline, even though they were important factors for sociological propositions. On occupying this land for a period of time and making the best use of it to penetrate into the folds of this society, it turned into a theoretical science that does not go beyond the walls of the university and lives a rupture with society, which is a social science par excellence.

Keywords: Discourse, Sociology, Colonialism, L M D System, Sociology.

مقدمة:

لقد مرّ الخطاب السوسيولوجي في الجزائر بمراحل كثيرة عرفت فيها ازدهارا وتطورا وتراجعا وتقهقرا، وهذا طبعا نتيجة لعوامل متعددة نعرج عليها في هذا المقال بشيء من التفصيل والتحليل، فبرغم من ان هناك أصواتا كثيرة لطالما صدحت بأهمية مخلفات السوسيولوجيا الكلونيالية وكيف أن هذه الأخيرة قدمت دفعا قويا للسوسيولوجيا الجزائرية عموما برغم من كل طروحاتها ومقارباتها النظرية والميدانية والنتائج التي توصلت إليها والتي كانت وراءها خلفيات عنصرية استغلتها في معرفة التفاصيل الدقيقة لهذا المجتمع ما ساعدها على التوغل في ثناياه أكثر وإبقاء سيطرتها عليه لحقبة زمنية طويلة.

وبعد الاستقلال عرف الخطاب السسيولوجي انتعاشا متواصلا لما بعد الكلونيالية نظرا لتماشيه مع التوجه العام للسلطة السياسية للبلاد فأخذ نصيبه من الاهتمام عكس الانثروبولوجيا التي كانت منبوذة من طرف السلطة باعتبارها علما استعماريا قبل أن يفتح لها المجال في الجامعة الجزائرية لاحقا (في الثمانينات من القرن الماضي). لكن هذا الاهتمام عرف تراجعا واضحا ما أثر سلبا على مردودية الخطاب السوسيولوجي الجزائري الذي لم يعرف

بعدها ازدهارا إلى غاية يومنا هذا. وعليه نحاول من خلال هذا المقال أن نبحث في كرونولوجيا الخطاب السوسيولوجي في الجزائر من خلال الإجابة على تساؤلات البحث الآتية:

_ ماهي ملامح الخطاب السوسيولوجي الكلونيالي في الجزائر المحتلة؟
_ماهي مميزات الخطاب السوسيولوجي في الجزائر المستقلة؟
_ ما هي أسباب تراجع مكانة علم الاجتماع في الجزائر الحديثة؟

أهداف البحث:

برغم من أنه توجد العديد من الدراسات الجزائرية التي سعت إلى قراءة الإرث السوسيولوجي الكلونيالي قراءة نقدية وتاريخية، إلا أننا نحاول من خلال هذه الدراسة إعادة قراءة الخطاب السوسيولوجي من وجهة نظر مختلفة نسعى من خلالها إلى الوقوف على التجربة السوسيولوجية الجزائرية بين ماضي كلونيالي ومستقبل أكاديمي، وكيف تحول علم الاجتماع في الجزائر من علم له قيمة في أوساط المفكرين والسياسيين والمثقفين الغربيين، من علم ساعدت أبحاثه ونتائجها الاحتلال الفرنسي التوغل في ثنايا هذا المجتمع بكل اختلافاته وفضاءاته، إلى علم مميع يقتصر فقط على الممارسة البيداغوجية داخل أسوار الجامعة الجزائرية، علم دراسة المجتمع إلى علم لا علاقة له بالمجتمع وما يحدث فيه.

1. السوسولوجيا الكلونيالية (التاريخ والممارسة):

أدخل يرى الكثير من المؤرخين بأن الاهتمام بالجزائر مجتمعا وتنظيما كان من بين التساؤلات المطروحة ضمن المواضيع الموجودة حول تاريخ منطقة شمال افريقيا قبل الاحتلال الفرنسي بسنوات. نفهم من هنا أن الحملة الاستعمارية الحقيقية لم تبدأ في سنة 1830، وإنما بدأت قبل هذا التاريخ بسنوات عديدة، بحيث أن الحملة الاستكشافية قد بدأت منذ السنوات الأولى للقرن السابع عشر (17م)، واستمرت حتى نهاية القرن الثامن عشر(18م). والدليل على ذلك هو وجود الكثير من الوثائق والمخطوطات التي تصنف منطقة " البربر" ومنطقة " شمال إفريقيا" والتي تتحدث عن المماليك البربرية ومماليك فاس والجزائر وغيرها. وكل هذه الوثائق والمعلومات وكذا المعطيات التاريخية كانت من اجتهاد الكثير من المعاصرين والمسافرين والقنصليين المتوجهين إلى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وتحديدا شمال إفريقيا. هذه الوثائق والنصوص المكتوبة حول منطقة شمال إفريقيا قبل سنة 1830 كانت تهتم كثيرا بوصف العادات وأخلاقيات وقيم الجماعات والمماليك البربرية، كما أنها تركز اهتماما على

التاريخ الاجتماعي والأبعاد الجغرافية المميزة للوسط الطبيعي للمنطقة، وهذا ما يجعل بعض الباحثين والنقاد حول المنتوج المعرفي والأنثروبولوجي للدراسات الكلونيالية الأولى حول شمال إفريقيا، يحددون هذه المرحلة الأولى من الكتابات بالمرحلة الاستكشافية (آكلي،2002، صفحة96/95). وهكذا قدمت أبحاث ودراسات تعاملت مع " الشمال الإفريقي" كجزء من الشرق المبهم والغامض، وتكونت جمعيات متخصصة ومعاهد، وظهرت دوريات وأنشئت دور نشر، لتتجمع من هذا كله مباحث اجتماعية بالمعنى الواسع للكلمة، شوهت الواقع وأنتجت معرفة مشروطة، أنجز الكثير منها هواة ومغامرون.

يقصد بالسوسيولوجيا الكلونيالية عموما بتلك الدراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية في الجزائر والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري والتنقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وذلك محاولة منها لفهم المكانيزمات التي تتحكم في البنى الاجتماعية والثقافية سواء لخدمة الايديولوجيا الكلونيالية أو لخدمة البحث العلمي. ويمكننا القول أن السوسيولوجيا الكلونيالية كمرادف للغزو بدأت تمارس مهامها بعده مباشرة _ بعد الاحتلال العسكري_ وتحديدا عام 1833م لأنه في هذا العام شكلت ما يعرف ب "لجنة اكتشاف الجزائر العلمي" تحت إشراف وزارة الحرب الفرنسية التي قامت بدليل إحصائي حول أوضاع الجزائر كافة، اشتمل على (17 مجلد) حيث قسمت الجزائر بمقتضى هذه النتائج التي توصلت إليها إلى ثلاث مقاطعات (الجزائر، وهران، قسنطينة) (P.Goinard, 1985,p67).

لذلك من الواضح أن جذور السوسيولوجيا الكلونيالية تنحصر أساسا بالدرجة الأولى في أعمال هذه اللجنة، والتي وضع حجر الأساس لها ونشر نتائجها باحثون كرسوا لهذه السوسيولوجيا، وبلوروا الشروط النظرية والايديولوجية التي ستعمل عبرها. من هنا فإن أي فهم دقيق لواقع السوسيولوجيا الكلونيالية في الجزائر، وانماط البحث المنبثقة منها يستحيل معرفتها دون درس نقدي واع للدور الخطير الذي قامت به هذه اللجنة.

ورغم أن الكثير من الباحثين الجزائريين يرون بأن هذه المرحلة تميزت بالدراسات العسكرية ذات الطابع السوسيولوجي والانثروبولوجي، بعد المرحلة الاستكشافية التي سبقت هذه المرحلة والتي كانت قبل الاحتلال المباشر للجزائر، إلا أن هناك شبه إجماع لدى الباحثين والمؤرخين بأن هناك مرحلة أخرى في تاريخ السوسيولوجيا الكلونيالية تميزت بالدراسات ذات الطابع الأكاديمي هذا النوع من الأبحاث الذي تطور كثيرا بعد سنة 1870م، وهو التاريخ الذي يميز بداية ظهور الأبحاث الجامعية حول الجماعات السكانية المستقرة في الجزائر، وحول الكثير من المواضيع التي لها علاقة مباشرة بعملية التنظيم الإداري والسياسي لمختلف

الجماعات الاجتماعية والريفية على وجه الخصوص. طبعا ويرجع سبب تصنيف هذه الدراسات إلى حقل الدراسات الأكاديمية وطبيعة البحوث في حدّ ذاتها وكذلك إلى أصحابها الذين ينتمون إلى فئة الجامعيين الذين تمكنوا من تأليف دراسات وأطروحات جامعية مختلفة تمحورت أساسا حول الإيديولوجية المعرفية والعلمية للإدارة الاستعمارية. أي ان هذه الأبحاث رغم كونها أبحاثاً أكاديمية بقيت دائما في خدمة الأغراض الاستعمارية، حيث كانت تشكل الإطار المرجعي _ المعرفي والعلمي_ لكثير من التوجهات والإجراءات العلمية للإدارة الاستعمارية خلال سنوات عديدة. وقد ميز الباحث François Leimdorfer خمسة مراحل مميزة لظهور الطابع العلمي والمعرفي للدراسات الكلونيالية حول الجزائر ويمكن تلخيصها ضمن المراحل الآتية:

1.قبل الحملة الاستعمارية (1830م) وهي مرحلة الدراسات الاستكشافية.

2.مرحلة السيف والقلم(1830_1870م) وهي مرحلة الدراسات العسكرية.

3.مرحلة الكتابة والبندقية (1870_1914م) وهي الدراسات التي تجمع بين العلم والقوة.

4.الذكرى المئوية(1930م) التي تمثل الرجوع إلى الدراسات العسكرية والأكاديمية معا.

5.عودة البندقية (1945_1962م) وهي تمثل مرحلة المقاومات المنظمة. (آكلي،2002،صفحة 104/95).

كل هذه الدراسات تبين بعمق المجهودات العلمية والاستكشافية للفرنسيين وهي مجهودات ضخمة على حدّ ضخامة وأهمية المشروع الاستعماري الذي تبنته والذي بدأت في تطبيقه سنة 1830 ، كما أننا نلاحظ ان المنتوج المعرفي والاستراتيجي حول الجزائر كان كبيرا جدا بحيث أصبح يشكل الرأسمال المعرفي والحقيقي للاستعمار في شمال إفريقيا، بل أكثر من ذلك فهو يعد ثروة علمية واستراتيجية هامة تحتفظ بها مكاتب الدراسات والتوثيق الفرنسية إلى غاية يومنا هذا وهذا ما يجرنا إلى القول أن فرنسا من خلال دراساتها وأبحاثها السوسيو انثروبولوجية عن المجتمع الجزائري جعلها تعرف عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا خاصة بعد تراجع الخطاب السوسيولوجي في الجزائر الحديثة.

2. مميزات الخطاب السوسيولوجي الكلونيالي

يمكننا إجمالا، تحديد ملامح الخطاب السوسيولوجي الكلونيالي كالتالي:

1- طغيان المنظور الإثنوغرافي على هذا الخطاب، كتبرير للسيطرة الاستعمارية، عن طريق تقديمه التكوين الاجتماعي الجزائري وكأنه من دون تاريخ، كي لا يكون للاستعمار أية مسؤولية عن جموده، والملاحظ أن هذا المنظور قد ركز في الأساس، على دراسة البنى القبلية، والدين،

واللسانيات، والثقافة الشعبية كمجموعة من الوحدات العمودية المنفصلة والمستقلة ذاتيا، ووظفت الاستنتاجات حولها ضمن سياسة تعمل على دمجها في بنى تسهل عملية الاختراق وتضمن الولاء للاستيطان، وهو ما أكده أغلب الباحثين. وقد اعتمدت هذه الدراسات على وصف وقائع جزئية لمختلف مناطق البلاد أو جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، مع الاهتمام بتفاصيل الحياة اليومية، والتقسيمات الإثنية، والأشكال البنائية للقبائل والعائلات، والاختلافات بين البدو والمزارعين... (دياب،1999، صفحة 304/303).

2- معالجة البنى الاجتماعية في الجزائر بوصفها فسيفساء من الثنائيات المتضادة، وهو ما أدى إلى تكريس منظور التحليل الانقسامي على كل مستويات هذه البنى: الإثنية(بربر وعرب) أو الإيكولوجية (البرانية الغرباء عن المدن، والمور(Maures) (سكان الحضر، أو الطائفية).

مهمّش (نمط المعيشة القبلي، الترحلي، الزراعي أو الحضاري، بلاد المخزن أو السلطة، مسلمون وغير مسلمين)، الاقتصادية(السّيبة والمخزن)(يشير هذان التعبيران" السيبة " و"المخزن" إلى نمطين للعلاقة بين المجتمعات المحلية والسلطة المركزية إبان الفترة السابقة على الحقبة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي، فالمخزن يرتبط عموما بالقبائل الزراعية التي تقع في الجوار المباشر للمدينة، وفي أراض ترويها المطار. أما السيبة فتمثل مجموعة المناطق الرعوية البعيدة في الجبال غير الملائمة كثيرا للزراعة، أو في السهول المرتفعة الداخلية ضعيفة الأمطار....(انظر عدي الهواري،(1983)،الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي،1830_1860، ترجمة : جوزف عبد الله، د ار الحداثة: بيروت.)، أو الضبطية (العرف والشرع) أو الهيراركية (الهرمية)، (السلام والأجاويد، أو الأهالي والكولون).

وقد لاقت هذه الصيغة اوضح تعبير لها في الدراسات السوسيوغرافية المفصّلة التي قدمها دوماس وفابار (Dumas et Fabar) عام 1848، وديفو (C;Devaux) عن قبائل جرجرة عام 1859،والدراسة المشهورة التي انجزها هانوتو(A ;Hanouteau) ولوتورنو (Letourneux) ما بين عامي 1872_1873، وعنوانها " La kabylie et les coutumes Kabyles" ودارت حول صراعات السوف وتطور النزاعات في منطقة القبائل. وكذلك دراسة ماسكراي عام 1886 " Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algerie" (تكون المدن عند السكان الحضر في الجزائر) والتي بالغت في رسم الحدود الأولية للانقسامية،فأشارت إلى نظام نسقي للتحالف القبلي مرتب على غرار لعبة الشطرنج. والواقع ان محاولات تكريس هذا المنظور الإنقسامي في الحقيقة ما هو إلا وهم ابستمولوجي وهذيان منهجي كما قال الخطيبي. (دياب،1999، صفحة 306/305).

3- تشكيل قوالب نظرية مفاهيمية بالغة التجريد، تختزل في نطاقها لحمة الوقائع العينية، وتنتفي عبرها الفوارق والخصوصيات، الأمر الذي نتج عنه معجم مفاهيمي نمط إنتاج السيبة، والبدو ونصف البدو، الحضر وشبه الحضر، وبلاد البارود أو الخارجة عن القانون، والانقسام...الخ).

لقد نجح الاستعمار الفرنسي في استعمال ورقة التقسيم العرقي للتركيبة البشرية لمكونات الشعب من عرب وبربر خاصة وهو ما قام به "ماسكراي"Masquerey" في دراسته أيضا للمجتمع الميزابي عن طريق الملاحظة بالمشاركة والتعرف على عاداتهم وانتمائهم العرقي والعقائدي والدعوة إلى توظيف ثنائية البربر/ العرب وهي ثنائية استندت عليها لحماية تغلغلها وهي ثنائية لها بعد عرقي وكانت لها نتائج عميقة ومؤثرة للسيطرة الفرنسية على المجتمع. أما من الجانب البحثي فقد تم تأسيس مدرسة للآداب بالجزائر العاصمة سنة1879 تحت إدارة " Renne basset" ، المخبر الرئيسي للفكر الكلونيالي حول المغرب العربي، كما استطاع " جاك بيرك"Jacques Berque " أن يقوم بدراسات حول المجتمع الجزائري من خلال الثقافات الفرعية للمجتمع القبائلي ودراسة اللغة كأحد الثوابت التي يجب تفكيكها استنادا إلى مقولة" مالينوفسكي" على ان البحث لابدّ أن يمر بمعرفة لغة الغير وأعرافه وما يمكن قوله أن السوسيولوجيا الكلونيالية نجحت إلى حدّ بعيد في الوصول إلى أهدافها الاستعمارية وهو تمكين المستعمر من احتلال الجزائر لمدة تفوق القرن و 30 سنة (معتوق، 2006،صفحة 19).

لقد قدمت السوسيولوجيا الكلونيالية فكرة مفصلة عن الواقع الجزائري الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وحتى السياسي لكنه كان من زاوية أحادية الاتجاه ،وهي من منظور استعماري بحت، قدمت فيه صورة الانسان الجزائري المتوحش الذي يعيش في عالم متخلف ومن حسن حظه جاءه المستعمر من الضفة الأخرى للبحر المتوسط ليقدم له الحضارة حسب زعمهم طبعا. لكن الملفت للنظر أن الاحتلال الفرنسي وظف فرقا كاملة من الباحثين والدارسين والمستكشفين العسكريين والأكاديميين ما ساعده كثيرا على تحصيل كم معرفي ونوعي غزير تجسد في الأبحاث والدراسات السوسيو أنثروبولوجية خاصة بالحقل الجزائري فقط، برغم من أنه كان لديه اشتغال سوسيولوجي بالبيئة المغاربية عموما (الجزائر، تونس، المغرب) إلا أن الاشتغال الأكبر كان من نصيب الجزائريين الذين كانوا تحت التجربة السوسيولوجية الفرنسية الموجهة والمغرضة.

برغم كل ذلك فقد انقسم علماء الاجتماع الجزائريين والعرب بعد الاستقلال بين مؤيد للطرح السوسيولوجي الفرنسي وبين معارض له، بين من يرى بأن الدراسات التي قدمها

الاستعمار الفرنسي حول الحقل السوسيولوجي الجزائري اختصرت أشواطا على مجال العلوم الاجتماعية عموما في الجزائر في الدراسة والبحث والتحليل والتنظير وأدخلته مبكرا لحقل الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجية، وبين معارض يرى بأن سوء الإحاطة العلمية والمعرفية الكلونيالية المغرضة ضد كل ما هو جزائري قد شوه التجربة السوسيولوجية المبكرة التي عرفتها السيرورة التاريخية التي نشأ فيها علم الاجتماع في الجزائر.

3. ملامح الخطاب السوسيولوجي الجزائري ما بعد الاستقلال:

لقد ورث الخطاب السوسيولوجي في الجزائر ما بعد الاستقلال تراكما معرفيا ونظريا غزيرا الذي ساقته مصالح وايديولوجيا كولونيالية، وكان قد تتلمذ على يد الباحثين الكولونياليين العديد من الطلبة الجزائريين والمغاربة الذين كانوا يدرسون علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية، أو هم الذين تابعوا المسيرة السوسيولوجية في الجزائر بعد الاستقلال، وهذا ما يقودنا للحديث عن المرحلة المهمة في تاريخ التجربة السوسيولوجية والتي بدأت بعد الاستقلال مباشرة، ويمكن أن نذكر مراحلها كما يلي:

1.3. المرحلة الأولى: الخطاب السوسيولوجي والقطيعة مع الاستعمار (1962/1970):

دعت الجزائر في هذه المرحلة إلى القطيعة مع الظاهرة الاستعمارية، برغم من أن الجامعة الجزائرية آنذاك كانت تابعة للمدرسة الفرنسية موضوعا ومنهجا وكان نظام التعليم الجزائري مرتبطا ارتباطا وثيقا بها ويعاني من التبعية الاستعمارية الكبيرة نظرا لنقص الإمكانيات المادية والبشرية. وظل التوجه الفرونكوفوني (مصطلح يدل على الدول التي تنتمي إلى فرنسا سواء استعماريا أو ثقافيا) للخطاب السوسيولوجي قائما حتى عام 1971، وهو توجه كرس لهذا الخطاب كعلم يعنى بالتنظير، وهو يفتقر للدراسات الميدانية الواقعية ويعمل على نقل الإرث السوسيولوجي الفرونكوفوني إلى الطلبة ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل وعلى التحصيل دون التحليل.

2.3.المرحلة الثانية: الخطاب السوسيولوجي والدعم السلطوي (1971/1979):

كانت الجزائر في هذه المرحلة حديثة الاستقلال تحاول ان تبني نفسها من جديد بعد كل الدمار الذي عرفته في محاولة إلى إقامة دولة حديثة ذات طابع اجتماعي تهدف إل التحرر من التبعية بكل أشكالها، في هذه الفترة وقع تصور علم الاجتماع كعلم تحرري يعمل من أجل كسر قيود التبعية والهيمنة خاصة وأن الفكر الاشتراكي المتبنى من طرف النظام السياسي

الجزائري آنذاك كان يعرف توسعا عالميا وانتشارا منقطع النظير باعتباره فكر اجتماعي أكثر منه سياسي أو هذا ما روج له، وطبعا علم الاجتماع كان العلم الحاضن له وللفكر الماركسي عموما. لذلك كانت السلطة تنظر لعلم الاجتماع على أنه علم يعمل في خدمة قضايا ومصالح واهتمامات الطبقات الكادحة والجماهير العريضة في بلدان العالم الثالث. فالتصور الذي نجده في الخطاب الرسمي لهذه الفترة يركز على علم الاجتماع باعتباره ممارسة علمية ملتزمة بقضايا التنمية والتغير وبمصالح الشعوب، ويظهر ذلك جليا في خطاب وزير التعليم العالي الذي ألقاه في مؤتمر الدولي الرابع والعشرون (24) لعلم الاجتماع سنة 1974 الذي أقيم في الجزائر حيث صرح بأن علم الاجتماع يجد نفسه اليوم مرغما على أن يكون في الصف الأول بين شعبه بمعنى أن هذا العلم يجب ان يكون في خدمة إيديولوجيا الدولة....، وفي هذا الإطار تم تعريب علم الاجتماع نهائيا سنة 1977 على أساس أنه معرفة تساهم في إعادة هوية المجتمع وثقافته، فأصبح يدرس في الجامعات الرئيسية الأربع ، وأقبل عليه العديد من الطلبة (عنصر، 1999،صفحة280_281).

فكانت الجزائر والتغيرات الكبيرة التي عرفتها في قلب النقاشات والحوارات التي كانت تجري بين عالم الاجتماع الفرنسي Jacque Berque وعالم الاجتماع الإيراني محمد علي شريعتي، وكانت في قلب أعمال علماء اجتماع عالميين من امثال Alain Tourain و Pierre Bourdieuوغيرهم...فالسلطة كانت في حاجة ماسّة لتفعيل علم الاجتماع وإعطائه مساحات وفضاءات حيوية وفاعلة للممارسة التطبيقية المباشرة، لذلك قامت بتدعيمه وإسناده بما يلزم من الوسائل ووفرت له شروط ارتكازه ونهوضه المعرفي والدراسي، وهو بدوره كان بحاجة لهذه الانطلاقة لهذا المستوى من الدّعم فتضافر العاملان وشكلا معا فضاء سوسيولوجيا تطبيقيا. (عيادي، 2007،صفحة148).دون أن ننسى الإشارة إلى أن كل التخصصات التي كانت موجودة في علم الاجتماع في هذه الفترة التي كانت تدرس أو تمارس لم تأتي صدفة أو لأغراض علمية بحتة بل جاءت لتساير المشروع الاشتراكي الذي تبنته الدولة الجزائرية آنذاك، فنجد مثلا علم الاجتماع الريفي_ الحضري الذي جاء تجاوبا مع الثورة الزراعية، وعلم الاجتماع الصناعي الذي جاء خدمة للثورة الصناعية حيث أن أغلبية الدراسات والبحوث المنجزة من طرف الأساتذة والطلبة كانت تتصف حول الثورات الثلاثة التي تبنتها الدولة الجزائرية(ويقصد بالثورة الصناعية والزراعية والثقافية)(معتوق، 2000/1999،صفحة81).

رغم أن علم الاجتماع عرف تفعيلا وفعالية كبيرة في هذه الفترة نتيجة الدعم الذي لقيه من طرف السلطة السياسية لكن مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات عرف تراجعا كبيرا وملحوظا لعدة أسباب نلخصها في المرحلة الآتية.

3.3. الخطاب السوسيولوجي والنكسة من (2004/1980):

يرى العياشي عنصر أن في هذه الفترة من عمر علم الاجتماع في الجزائر اتسم الموقف الرسمي إزاءه بثلاث خصائص هي :

أولا: انتقاص قيمة العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع خصوصا، ثانيا، تجاهل الدور الحقيقي الذي من الممكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير في التحولات الجارية في المجتمع، وثالثا، هناك محاولة الاستفادة من الفرص التي تقدمها العلوم الاجتماعية عموما في بسط الهيمنة والحفاظ على السيطرة التي تتمتع بها النخبة الحاكمة، سواء في المؤسسات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. (عنصر،1999،صفحة 281).

وفي هذا الصدد يقول جمال معتوق بأن في هذه الفترة الخطاب الرسمي تغير موقفا وعملا تجاه العلوم الاجتماعية...وأصبحت كل الأنظار متوجهة نحو العلوم الطبيعية والتكنولوجية وذلك باسم التنمية والتغيير"(معتوق،2000،صفحة 85). كما تميزت هذه المرحلة من السيرورة التاريخية لعلم الاجتماع في الجزائر بتغيرات اقتصادية وتحولات اجتماعية كبيرة لم تشهدها الدولة الجزائرية من قبل، أهمّها أحداث أكتوبر 1988 والتي راح ضحيتها عشرات القتلى وكان لها الأثر البالغ على سياسية الدولة لاحقا إما على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، لكن علماء الاجتماع الجزائريين فوتوا هذه المرحلة من دون أن يكون لهم اسهامات فعلية وفعالة في تفسير وتحليل أسباب الانتفاضة ومآلاتها على الفرد والمجتمع آنذاك، غير بعض المساهمات الفردية وحتى العربية في تفسير هذه الأحداث. وهذا ما زاد من انتكاسة علم الاجتماع حيث كانت الفرصة تاريخية ومهمة في إثبات وجوده كعلم مهم وأساسي يعمل على تفسير قضايا المجتمع ويبحث لها عن حلول ويساهم بشكل فعال في إعادة هندسة المجتمع من جديد. أما الحدث الثاني والذي لا يقل أهمية عن أحداث أكتوبر 1988 وهي أحداث الأزمة الأمنية التي عرفتها البلاد في فترة التسعينيات من القرن الماضي والتي قضت على معظم المكتسبات التي حققتها الجزائر منذ استقلالها، فكان لها الأثر البالغ على المسيرة السوسيولوجية تمثلت في هجرة الأدمغة وتعرض البعض منهم إلى السجن أو الاغتيال. فأضيفت نكسة أخرى إلى سجل علم الاجتماع في الجزائر بسبب العوامل سابقة الذكر من جهة

ومن جهة أخرى بسبب عدم تناول هذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزائر بالدراسة والتحليل السوسيولوجي العلمي والموضوعي حيث كان يتجنب الكثير من الباحثين الجزائريين الخوض في غمار الحديث عن هذه المرحلة الحساسة وتحليل أسبابها وملابسات ظروفها ومآلاتها. فبقيت الظاهرة عالقة في أذهان الجزائريين باعتبارها مرحلة عمرية كان لها الأثر البالغ عليهم وعلى المجتمع الجزائري والتحولات التي عرفها لاحقا، إلا ان كل ذلك كان بعيدا عن اهتمام السوسيولوجيين الجزائريين الذين كانوا أولى من غيرهم في قراءة وتفسير وتحليل المشهد.

1999 بداية مرحلة جديدة وعهد جديد جاء معه ميثاق المصالحة الوطنية وقانون الوئام المدني الذي حاول ان يعالج بعض آثار الأزمة الأمنية وتبعاتها، ومع ارتفاع اسعار البترول في السوق العالمية اتجهت سياسية الدولة إلى إعادة الاعتبار لبنيتها التحتية بالدرجة الأولى من بناء المدارس والجامعات والمعاهد فأصبح لكل ولاية تقريبا جامعة أو مركز جامعي، وأصبح تخصص علم الاجتماع من التخصصات المفتوحة في كل الولايات تقريبا، ما زاد من نسبة عدد الطلبة المنتسبين له على المستوى الوطني، لكن للأسف هذه المعطيات كان لها صدى كمي على حساب الصدى النوعي، وما زاد الطين بلة هو اعتماد نظام L M D الذي غير من مسار التكوين في الجامعة الجزائرية وفي مختلف التخصصات بما فيها تخصص علم الاجتماع.

4.3. تدهور الخطاب السوسيولوجي وردائته من 2004 إلى يومنا هذا:

والتي تبدأ من خلال اعتماد نظام L M D في الجامعة الجزائرية سنة 2004 وتحديدا في التخصصات المعربة ثم لاحقا التخصصات العلمية والتكنولوجية ماعدا التخصصات الطبية (الطب والصيدلة وجراحة الأسنان) التي لم تدنس بنظام L M D. لقد كان علم الاجتماع من التخصصات التي عرفت البداية التجريبية للنظام من خلالها، والتي لا أحد اليوم ينكر الفشل الذريع الذي مني به هذا النظام وما لعبه من دور كبير في تراجع الجامعة الجزائرية ومستوى التكوين الجامعي عموما. كما أن للتكنولوجيا والانفجار المعلوماتي والمعرفي في السنوات العشر الأخيرة والتي سيطرت على كل حياتنا كان لها الأثر البالغ في استغلالها السيئ من طرف الطلبة والأكاديميين ما ساهم في تراجع مستوى التكوين في الجامعة الجزائرية لدى أشباه الطلبة والأكاديميين على غرار شراء البحوث والمذكرات وكثرة السرقات العلمية التي الجهات الوصية أصدرت في حقها ترسانة قوانين لكنها تبقى غير مفعلة على الساحة الأكاديمية.

ومن ضمن الأحداث المهمة في هذه المرحلة والتي كانت فرصة أخرى للسوسيولوجيين من أجل التحليل والتنظير وإبراز أهمية دورهم الحقيقي في المجتمع الجزائري هو الحراك

الوطني الشعبي، والذي شرارة انطلاقه كانت من معظم ولايات الوطن وهدفة الأول هو إلغاء العهدة الخامسة للرئيس السابق الراحل" عبد العزيز بوتفليقة" في فيفري 2019 الحدث كان مهما جدا إلا ان السوسيولوجيين كانوا غائبين عن المشهد مرة أخرى إلا في بعض القراءات لبعض الأساتذة الذين كانوا يستضيفونهم في بلاتوهات القنوات التلفزيونية العمومية أو الخاصة. كما أن هذه المرحلة لم تتوج بدراسات جادة من مخابر بحث سوسيولوجية أو علماء اجتماع جزائريين أخذوا على عاتقهم تحليل الحراك الشعبي عدا بعض المساهمات الفردية على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "الحراك الشعبي الجزائري الذي صدر سنة 2020" للأستاذ نورالدين بكيس _أستاذ وباحث في علم الاجتماع السياسي بجامعة الجزائر _ والذي حاول فيه تحليل الظاهرة من عدة زوايا بداية من البيئة المنتجة للحراك الشعبي الى غاية الآفاق والرهانات التي يمكن ان ينتجها أو انتجها لنا هذا الحراك، مبرزا لنا أهم نقاط قوة الحراك وأهم نقاط ضعفه ومبينا مدى أهميته في تغيير الذهنية السياسية والاجتماعية في الجزائر الحديثة. بالإضافة إلى بعض المقالات العلمية المنشورة في بعض المجلات الوطنية والتي ليست على مستوى الحدث الكبير الذي عرفته البلاد، هذا الأخير الذي كان من الأجدر أن يتم انعقاد ملتقيات أو مؤتمرات وطنية في حقه ذات طابع سوسيولوجي انثروبولوجي وهذا من أجل تحليل وتفسير الظاهرة والخروج بنتائج وتوصيات من شأنها أن تساهم في فهم السياقات الناتجة عن هذه التحولات السياسية والاجتماعية خاصة وإعطاء فرصة حقيقية لفهم هذا المجتمع والتحولات المرحلية التي يعرفها من أجل التخطيط الأفضل لمستقبل هذه الأمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

وعلى الرغم من أن الجهات الوصية أعطت الفرصة لإنشاء العديد من مخابر البحث السوسيولوجية ورغم الزخم الكبير الذي تعرفه الجامعات الجزائرية من أساتذة وأكاديميين في وطلبة الدكتوراه في علم الاجتماع، إلا أنه على العموم هذه المرحلة عرفت تأخرا واضحا في مجال السوسيولوجيا رغم أن المجتمع يشهد تحولات كبيرة وعلى جميع المستويات وهو بحاجة ماسة لأبحاث ودراسات تتسم بالجدية في الطرح والعلمية في التناول لفهم سياق هذه التغيرات ومواكبتها فالكثير من المشكلات الاجتماعية اليوم منتشرة في المجتمع الجزائري نتيجة سوء تكيف الأفراد مع معطيات التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المستجدة التي يشهدها المجتمع.

وفي ذات السياق يرى عياشي العنصر أن هناك أربعة عوامل رئيسية مسؤولة عن الوضعية التي آل إليها الخطاب السوسيولوجي في الجزائر وهي :

أ. سيطرة السياسي على العلمي:

لا أحد ينكر أن كان الخطاب السوسيولوجي من بدايته كان هدفا لسيطرة السلطة السياسية، وكان هذا طبعا في البداية بسيطرة الإدارة الفرنسية المحتلة لأغراض استعمارية، ثم بعدها سيطرة النظام السياسي بعد الاستقلال بهدف إنشاء علم اجتماعي ملتزم بقضايا المجتمع، وفي الحقيقة لم يكن ذلك سوى جزء من مخطط عام يرمي إلى السيطرة على الجامعة باعتبارها مؤسسة لإنتاج المعرفة ونشرها، ذلك ان المعرفة قوة، وخصوصا المعرفة الاجتماعية، فإذا كانت العلوم الطبيعية وسيلة الانسان لتحقيق سيطرته على الطبيعة، فإن العلوم الاجتماعية وسيلة وأداة فعالة في تحقيق السيطرة على الإنسان والمجتمع.

ب. عدوانية المجتمع و انغلاقه:

العامل الثاني والذي يمثل حاجزا رئيسيا أمام ظهور علم الاجتماع وتطوره في الجزائر هو الموقف العدائي الذي يتخذه المجتمع، والرفض الذي يقابل كل محاولة جادة لسبر أغواره وفهم آليات سيره، سواء اتخذ هذا الموقف شكل العداء المعلن أو الرفض أو الاحتقار أو الانغلاق، ومن ضمن المجالات العديدة التي لا تزال مغلقة أمام البحث الاجتماعي والمعرفة العلمية هي: قضايا الاختلال في سير النظام الاجتماعي، السلطة وآليات السيطرة التي تمارسها طبقات أو شرائح اجتماعية معينة، مؤسسات الحكم وأجهزتها المختلفة، العلاقات والسلوك الجنسي، قضايا العقيدة والممارسات الدينية، الجماعات الهامشية والمهمشة... وغيرها. (عنصر،1999،صفحة 284/282)

وحسب منظورنا الخاص فإن المواضيع المحرمة (Tabo) لازالت تحتل الصدارة في الرفض والمنع من التناول العلمي، فكل مجال أو ظاهرة أو موضوع له علاقة بالمرأة، الجنس، الدين والسياسة فهو ممنوع البحث فيه، وربما هذا ما جعلنا نلاحظ اجترار بعض المواضيع بعينها دون أخرى من طرف الباحثين سواء كانوا أساتذة او طلبة دكتوراه، مبتعدين عن كل ما يمس بالمواضيع السابقة الذكر.

ج. ضعف منظومة التكوين:

الحديث عن هذا العامل يحتاج للكثير من الوقت للبت فيه ولكن يمكن لنا على العموم أن نعرض مجموعة من الأسباب التي نراها ذات أهمية خاصة في تراجع التكوين الجامعي في ميدان علم الاجتماع ومن ضمنها:

_ضحالة التكوين ممثلة في الذخيرة التي يتحصل عليها الطلبة من معارف ومعلومات تتعلق بالجوانب المختلفة لتخصصهم، سواء ما تعلق منها بالجوانب النظرية أو المنهجية.

_ضعف مستوى التحكم في المفاهيم والمصطلحات أو استخدام لغة متخصصة تشير إلى التباين الذي يميز المدارس والتيارات المختلفة في توظيف المفاهيم ومقولات أساسية في خطابها(مستوى اللغة عموما يعاني ضعفا كبيرا).

_تدني مستوى المهارات والقدرات التطبيقية المتعلقة بإعداد وتسيير وانجاز البحث أو الدراسة أو أي عمل شخصي، فعلى الرغم من ان برنامج التكوين الجامعي يركز على تنمية هذه الجوانب وتطويرها، إلا أن معظم الطلبة يتخرجون وهم لا يحسنون بناء إشكالية او صياغة تساؤلات وفرضيات لبحثهم.

هذا إلى جانب عوامل أخرى لا تقل أهمية عن السابقة والتي لاحظناها من خلال تجربتنا في التدريس في الجامعة الجزائرية والاحتكاك المباشر بطلبة علم الاجتماع وبظروف التكوين وشروطه ولعل أهمّها:

_احتقار التخصصات المعربة وهي ظاهرة رائدة في الجامعة وحتى في المجتمع الجزائري على اعتبار ان التخصصات المفرنسة أكثر جدية واهمية من تلك التي تدرس باللغة العربية على رغم من اهميتها لكن المجتمع مازال يعتقد بأن كل ما هو فرنسي أو أجنبي فهو رمز للحضارة والثقافة والتقدم وكل ما له علاقة باللغة العربية فهو دليل على التأخر والتخلف وربما هذه الفكرة التي زرعها الاستعمار الفرنسي أثناء احتلاله للجزائر كنوع من انواع محاربة الهوية الجزائرية العربية الاسلامية إلا أنها وجدت من يتبناها ويعززها بعد الاستقلال وإلى غاية يومنا هذا، فهي تندرج ضمن ثقافة مجتمع. لذلك نجد بعض الطلبة المنتسبين لعلم الاجتماع هم أنفسهم يحتقرون هذا العلم ويصرحون بأنهم يبحثون من ورائه الشهادة الجامعية لا غير.

_التزايد الهائل في أعداد الطلبة في السنوات الأخيرة والذي أصبح الاساتذة يعانون فيه من مشكلة الاكتظاظ في قاعات التدريس خاصة على مستوى الأعمال الموجهة كما ان الاشراف على الكم الهائل من الطلبة في إعداد مذكرات التخرج بالنسبة لكل أستاذ ما انعكس سلبا على التكوين النوعي للطلبة.

_هجرة الطلبة الفاشلين من تخصصات تطبيقية نحو علم الاجتماع، وهي ظاهرة ملاحظة أيضا، فالكثير من الطلبة الذين وجدوا صعوبة في الدراسة في التخصصات العلمية والتقنية والتكنولوجية وفشلوا في التحصيل يقومون بالتحويل لعلم الاجتماع على أساس أنه علم سهل وبسيط والحصول فيه على الشهادة الجامعية أمر في غاية السهولة على رأي العديد من الطلبة.

_انتساب معظم الناجحين في البكالوريا بمعدلات منخفضة لكليات العلوم الاجتماعية والانسانية عموما ما زاد من نسبة الرسوب وضعف التحصيل الجامعي (معدل النجاح في الباكالوريا: 09، أثناء سنوات جائحة كورونا).

_ضعف منظومة التكوين في المراحل التعليمية ما قبل الجامعة (الأطوار التعليمية الثلاث) خاصة في السنوات الأخيرة بعد القيام بعملية الاصلاحات للمناهج التربوية وتبني المقاربة بالكفاءات كبديل لبيداغوجيا الأهداف، التي أجمع المنتسبين لقطاع التربية على أنها كانت تجربة فاشلة على رغم من السعي الحثيث من طرف الوزارة الوصية لتطوير قدرات المعلمين من خلال برامج التكوين المستمرة لهم والسعي لتوفير البيئة البيداغوجية المناسبة لنجاح هذه الاصلاحات، إلا أنه على ما يبدو أن المدرسة الجزائرية لم تكن جاهزة بعد للتكيف مع هذه المستجدات البيداغوجية، مثلها تماما مثل الجامعة الجزائرية التي لم تكن جاهزة لتبني نظام L M D على أنقاض النظام الكلاسيكي والذي أكيد كان له آثار وخيمة على مستوى التكوين عموما في الجامعة الجزائرية.

د. إهمال البحث وتهميشه:

وفي هذا الصدد يرى العياشي ان هناك عدة أسباب أدت إلى تهميش البحث وإهماله ولعل أهمها:

_انعدام سياسة واضحة في ميدان البحث العلمي عموما، وعلم الاجتماع خصوصا.

_ضعف الوسائل والإمكانيات المخصصة للبحث وفي بعض الأحيان انعدامها. وغياب الشروط الموضوعية المادية والمعنوية، واهمال البحوث السوسيولوجية الجادة التي من شأنها تغيير الواقع. (عنصر، 1999، صفحة 292)

لا أحد ينكر اليوم أن الوزارة الوصية تسعى جاهدة لرفع قيمة البحث العلمي في مختلف التخصصات العلمية على غرار علم الاجتماع فبعد ان كانت الشهادة والأقدمية هي المعيار الأساسي لتقويم هيئة التدريس وترقيتهم سابقا في الجامعة الجزائرية ، أصبح اليوم معيار الانتاج العلمي كمعيار أساسي وحاسم كما هو الحال في جامعات العالم كلها، حيث وضعت الوزارة الوصية جملة من الشروط تنص في مجملها على ضرورة البحث والنشر العلمي في مجلات وطنية ودولية ومؤلفات علمية وبيداغوجية وإنشاء فرق بحث (PRFU..)، تمويل البحوث وتثمينها من طرف بعض المؤسسات العمومية كالوكالة الموضوعاتية للبحث في العلوم

الاجتماعية والانسانية... وغيرها وهذا من أجل الارتقاء بالبحث العلمي الذي يعد حجر زاوية في تطوير أي فرع من فروع المعرفة.

4.نتائج الدراسة:

من خلال قراءتنا السوسيولوجية لمجمل المصادر المتعلقة بموضوع البحث والتي حاولنا من خلالها الإجابة على تساؤلاتنا المطروحة في بداية البحث توصلنا إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

_ الجزائر كانت ولا زالت أرضا خصبة لنظريات سوسيولوجية وانثربولوجية عديدة وقد استفادت السوسيولوجيا الكلونيالية من ذلك كثيرا وقدمت أشواطا في تطور السوسيولوجيا في الجزائر إلا أنها كانت موجهة لأغراض استعمارية بحتة.

_ الخطاب السوسيولوجي في الجزائر ازدهر بدعم السلطة في جزائر السبعينات وانطفأ أيضا بالتخلي السلطة عنه(في الثمانينات وما بعدها).

_ كانت بداية علم الاجتماع في الجزائر قوية ومهمة ولكن ما فتئت أن تراجعت لأسباب عدة سياسية واجتماعية وثقافية.

_ تخلف الخطاب السوسيولوجي في الجزائر عندما أصبح خاضعا لرغبات السلطة السياسية التي كانت ترى فيه مشروعا اجتماعيا يساير توجهاتها السياسية والاجتماعية، حيث ارتبط ذلك حتى بالتخصصات المطروحة للتكوين في الجامعة، ثم تخلت عنه لنفس الأسباب.

_ تخلف الفعل السوسيولوجي عندما انعزلت الجامعة الجزائرية عن المجتمع، وأصبح علم الاجتماع لا يتجاوز أسوار الجامعة بعيدا عن تفسير وتحليل مجمل التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري من الثمانينات إل غاية يومنا هذا.

_يحتاج الخطاب السوسيولوجي في الجزائر اليوم إلى إعادة الاعتبار من أجل ترقية هذا المجتمع ولا تتم ترقيته وتطويره من دون فهم مشاكله وتفسير تناقضاته وتحليل مختلف الظواهر التي من شأنها الوقوف عقبة في سبيل تطوره.

_ يحتاج علم الاجتماع اليوم إلى غيرة منتسبيه عليه خاصة بعدما أصبح يمارس من قبل أشخاص لا علاقة لهم بالسوسيوجيا فأصبح مجالا لطبع الشهادات الجامعية بامتياز، حيث طغى الكم على الكيف.

_ حاجة السوسيولوجيين اليوم إلى إنشاء معهد أو مركز للبحث في السوسيولوجيا أو مركزا للبحث في العلوم الاجتماعية _ علم الاجتماع_ يكون خاصا فقط بمجمل البحوث الاجتماعية

المرتبطة بالوقائع والمواقف الاجتماعية التي تحتاج إلى تفسير وتحليل وهذا من أجل توظيف نتائجها في سبيل تطوير المجتمع.

خاتمة:

ظهر علم الاجتماع في الغرب في بداياته الأولى على انه مشروع إصلاحي نظرا لوظيفته الاصلاحية التي عمل على تقديمها رواده للمجتمع، فقد تمكن الغرب من تغيير مجتمعاتهم عندما انتقدوا واقعهم أمثال إميل دور كايم وكارل ماركس الذي لطالما انتقد النظام الرأسمالي وجوره على المجتمع وحاول تقديم البديل من خلال النظام الاشتراكي الذي سيطر على معظم دول العالم لردح من الزمن، بحيث لم يكن النقد من أجل النقد فقط بل من اجل تقديم الأفضل للمجتمع وهذه هي مهمة الباحث الاجتماعي. فعلماء الاجتماع الغربيين كلهم استلهموا نظرياتهم وتحليلاتهم من المواقف والوقائع الاجتماعية السائدة آنذاك في المجتمعات الغربية محاولين في ذلك تقديم الحلول لمعظم المشكلات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الحديثة(بعد الثورة الصناعية).

إن علم الاجتماع هو من أهم العلوم الاجتماعية على الاطلاق التي تتيح لنا التعرف على أنفسنا من خلال مرآة مجمعنا، إن تهميشه يعني حرمان المجتمع من النظر إلى نفسه واكتشاف حقيقته، فهو علم تعرية الواقع ومواجهة عيوبه دون تزييف أو تجميل، وما دون ذلك فهو الاستمرار في العيش في دوامة من التزييف الذي لا يعمل سوى على زيادة حدّة التناقضات الاجتماعية والصراعات الثقافية والسياسية إلى درجة تهديد هذا المجتمع في كيانه. إن إعادة الاعتبار لعلم الاجتماع في الجزائر يكمن في إخراجه من بين أسوار الجامعة إلى الميدان والممارسة في إطار تفاعله مع الواقع في توظيف نتائج البحوث السوسيولوجية الجادة وهذا لا يكون إلا بإرادة منتسبيه من أساتذة وأكاديميين حقيقيين، ثم بإرادة سياسية واضحة تجاه العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع خصوصا.

قائمة المصادر والمراجع:

العياشي عنصر. (1999). أزمة أم غياب علم الاجتماع. تأليف الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

جمال معتوق. (2000/1999). واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي. أطروحة دكتوراه دولة. جامعة الجزائر، الجزائر.

جمال معتوق. (2006). علم اجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا. الجزائر: دون دار نشر.

سعيد عيادي. (2007). التجربة السوسيولوجية في الجزائر: الممارسة والتأويل. مجلة آفاق لعلم الاجتماع.

سعيد عيادي. (2019). تاريخ علم الاجتماع واتجاهاته في الجزائر. الجزائر: كنوز الحكمة.

فرادجي محمد آكلي. (2002). الاشكالية المعرفية للسوسيولوجيا الكلونيالية في الجزائر: دراسة عينة من الأبحاث الكلونيالية التي أنجزت في منطقة القبائل. علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر: أية علاقات؟. الجزائر: دار القصبة للنشر.

محمد حافظ دياب. (1999). علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

P.Goinard.(1985) .L'Algérie:L'Oeuvre française .Paris: Robert Laffont.